التجريب: المصطلح والمفهوم

Experimentation: term and concept

نجلاء العيفة*[1]

جامعة العربي التبسي –تبسة– (الجزائر)

تاريخ الإرسال:2020/11/04	تاريخ القبول:2020/12/11	تاريخ النشر:2020/12/31

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد مصطلح التجريب؛ كونه رؤية جديدة مست جميع الأصعدة بما فيها المجال الفني والأدبي، لذلك نحاول الوقوف عند هذا المفهوم مع تتبع مساره بداية من العلوم التجريبية وانتقاله للفن والأدب، والبحث في علاقته بالمصطلحات الحداثية الأخرى كالتجديد والإبداع والحداثة، والتغريب، وتداخل الأنواع الأدبية، وصولا إلى مجموعة من النتائج أهمها: أنّ التجريب مصطلح علمي ويعتبر اميل زولا السباق للحركة التجريبية في الرواية باعتبارها تجربة منبنية على تجميع الحقائق؛ وهو في معناه يمثل لمغامرة إبداعية غايتها التمرد على الأشكال القديمة وبناء رؤية مستقلة للكتابة.

الكلمات المفتاحية: تجريب؛ تجديد؛ إبداع؛ حداثة؛ تغريب؛ تداخل الأنواع الأدبية.

Abstract:

This studyaims to define the termexperimentation; as itis a new vision that touches all levels, including the artistic and literaryfield, sowetry to stand at this concept whiletracingitspathstartingfromexperimental sciences and movingit to art and literature, and researchingitsrelationshipwithothermodernisttermssuch as renewal, and creativity, Modernity, Westernization, and the overlap of literary genres, leading to a set of results, the most important of whichisthatexperimentis a scientificterm. Emile Zola considers the race for the experimentalmovement in the novel as an experimentbased on gatheringfacts, and in itsmeaningitrepresents a creativeadventurewhoseaimis to rebelagainstancientforms and build an independent vision. for writing .

Keywords: Experimentation ; rebellion ; creativity ; modernity ;alienation ; the

*, e-mail:najla.laifa@univ-tebessa.dz

- مقدمة

لم يعد النّص الإبداعي سواء كان شعرا أو نثرا قادرا على استيعاب الحياة الجديدة نضرا للتغيرات التي شهدها العصر،وهذا ما دفع المبدعين إلى الالتحاق بركب الحداثة و ابتكار طرائق وأساليب جديدة في التعبير الفني؛تقوم على تجاوز كل ما هو مألوف ومتعارف عليه ولم يعد النص مجرد حبر على ورق؛بل تعداه ليصبح عبارة على تجربة ذاتية يعبر فيها الشّاعر أو القاص عن ذاته و وطنه وأمته،إنّه مغامرة وغوص في المجهول،فانفتح المجال أمام مصطلح التجريب ليمنح الإبداع أفاقا ورؤى جديدة على مستوى الشكل والمضمون،تتماشى هذه الأخيرة مع حرية المبدع بعدما كان رهينا للنمطية والأشكال القديمة،لذلك كان اختيار هذا الموضوع لأسباب موضوعية تتمثل في معرفة مفهوم التجريب و الإحاطة بهسيرة ومصطلحا؛ وعلاقته بمصطلحات أخرى لما شهده من اختلافات بين الباحثين،ويهدف إلى ازالة الغموض الذي يعتري هذا المصطلح و يكتسي البحث أهمية كبيرة تكمن في موضوع التجريب في حد ذاته فمازال يشكل مادة بحثية خصبة لما له دور في الانتقال بالإبداع إلى افاق ورؤى جديدة.
ويحاول البحث معالجة إشكالية مهمة تتعلق أساسا بمصطلح التجريب، وكيف تم التأسيس له، وهذه الإشكالية تكشف عن ماهية المصطلح في الساحة الغربية وانتقاله إلى الساحة العربية، وتوضح علاقة التجريب بالمصطلحات المتداخلة معه (الإبداع، الحداثة، التغريب، تداخل الأنواع الأدبية).

1- ماهية التجريب:

1.1- لغة:

ورد في لسان العرب مادة جرّب «جرب الرجل تجربة اختبره...ورجل مجرب قد بلى ما عنده ومجرب قد عرف الأمور و جربها»(ابن منظور، 1997، ص262)، والتجربة «اختبار منظم لظاهرة أو ظواهر، يراد ملاحظتها، ملاحظة دقيقة ومنهجية للكشفعن نتيجة ما،أو تحقيق غرض معين»(مجمع اللغةالعربية، 2004، ص114)، ويحدد أحمد مختار عمر التجريب «ج تجاريب (لغير المصدر):1مصدر جرب،2تجربة ، إختبار"إن الرجال صناديق مقفلة وما مفاتيحها إلا التجارب"،3أحد مراحل عملية تبني الأفكار المستحدثة يحاول فيه الفرد تطبيق الفكرة المستحدثة وتجديد فائدتها والتأكد من مناسبتها لضروفه الخاصة(عمر، 2008، ص357)من خلال هذه التعريفات اللّغوية نرى أنّ التّجريب يحمل معنى الاختبار الذي يؤدي إلى نتيجة .

نجد أيضا مفهوم التجريب في المعاجم الغربية حيث وردت كلمة Experienceفي معجم اكسفورد بمعنى المعرفة والخبرة التي نحصل عليها من التجربة(oxford wordpower, 2006, p. 273) .
ولابد من تفريق لغوي بين التجريب الذي يرتبط بالعلوم التجريبية،عن غيره المتعلق بالعلوم النظرية «والتجريب علوم تجريبية :طريقة تجريبية : هي التي تعتمد على الملاحظة و التصنيف والفرض،والتجريب علوم تجريبية:تعتمد على التجريب عكسها العلوم النظرية مسرح تجريبي /مسرحية تجريبية /دراما تجريبية،مصطلح أطلق حديثا على المسرحيات التي تلجأ الى التجريب في الأشكال و الأساليب »(عمر، 2008، ص357)؛ ومنه فالتجريب الذي

يختص بالعلوم التجريبية يقوم على التجربة العلمية الدقيقة بينما نجده في العلوم النظرية يختص بالبنية الفنيّة للنّص من شكل و أسلوب.

2.1-اصطلاحا:

تعددت التعريفات لهذا المصطلح حيث« تعود أصول "التّجريب" إلى الكلمة اللاتينية experimentum وتعني البروفة أو المحاولة(بشونياك، 1999، ص8)والتّجريب عبارة عن «الية فنية تنزع إلى الخروج على التقاليد الفنيّة المألوفة لارتياد أفاق جديدة،وفتح نوافذ أخرى للإبداع، وتأصيل لأسلوب جديد يمارسه المبدع وهو طريقة قبل أن يكون أسلوبا وحتى يمتد خطابه لابد أن يتوسل بأليات خاصة، كذلك لابد من تجربة عميقة تغنيه و تخلق أدواته،ليخرج من الانطباعات إلى تطورالرؤى التي تتسم بالسّعة والشمول والعمق الفني»(كاظم، 2016، ص38،39)؛ فهو إذن طريقة جديدة تهدف إلى الخروج من النمطيّة التي كان المبدع حبيس قوانينها لينفتح أمامه المجال ويمارس أساليب فنيّة جديدة تساهم من رفع قيمة الابداع الفني.

ارتبط مفهوم التجريب بالإبداع إنه «قرين الابداع ،لأنه يتمثل في ابتكار طرائق و أساليب جديدة في أنماط التعبير الفني المختلفة؛فهو جوهر الابداع وحقيقته عندما يتجاوز المألوف و يغامر في قلب المستقبل مما يتطلب الشجاعة و المغامرة واستهداف المجهول دون التحقق من النجاح »(فضل، 2005، ص3)فهو مغامرة إبداعية يوظف فيها المبدع كل امكاناته من أجل ابتكار و اكتشاف طرائق و أساليب جديدة قد يكون هو أول من توصل إليها .

ويعرف ميشيل كورقان (MichéleCorgan) التجريب على أنّه "ليس تيارا فنيا،ولكنه مفهوم" حيث ترى الأستاذة هدى وصفى في مجلة فصول أن هذا التعريف يشير إلى أنّ التّجريب لا يتعامل مع مدرسة فنيّة بعينها،ولا يعدُّ نوعا من الطليعيّة،لكنه مجموعة من المغامرات الفرديّة (وصفى، 1990، ص212)يتعلق التجريب إذن بتجربة ذاتية فردية يصوغ فيها المبدع عوالم فنية جديدة بكل حرية عن طريق تشكيل فني واعي لا يعتمد على قاعدة مسبقة بل يتخذ الاختلاف شعارا له .

من خلال هذه التعريفات الاصطلاحيّة يمكننا صياغة مفهوم شامل للتّجريب يتمثل في أنّه: آلية و طريقة وأسلوب فني هدفه التمرد على القوانين السابقة،شعاره الاختلاف يرتبط بإبداع أشكال و طرائق فنيّة جديدة من خلال تجربة ذاتيّة فرديّة يخوضها المبدع مع نصه بكل حرية

2-المسار التاريخي لمصطلح التّجريب:

مصطلح التّجريب اختص بداية بالعلوم التجريبيّة قبل أن ينتقل إلى مجال الفن والأدب فهو مصطلح علمي استخدمه "داروين" في نظرية التحول في منتصف القرن الماضي(ق19)لمفهوم التحرر من النظريات القديمة في محاولة لاستكشاف الحقائق العلميّة الجديدة كما استخدمه كلود برنارد في كتابه مدخل لدراسة الطب التجريبي ووضع فيه قواعد و أسس المنهج التجريبي(سخسوخ، 1989، ص1).

انتقل مصطلح التّجريب بعد ذلك الى مجال الفن و الأدب و ارتبطت البدايات الأولى حسب ما جاء في كتاب باربارا لاسوتسكا أنّه «قد حدث عندما لفظ "تالما"Talma الزي الباروكي ووضع بديلا عنه "رداء"واسعا،وعلى

النقيض مما هو معروف كانت البدايات الأولى للثورة في عالم التجريب في لندن،ثم باريس،عندما استخدم "الغاز" بحوامل المصابيح في الإضاءة المنتظمة، وكان ذلك اكتشافا هاما له أثاره التي ترتبت كثير من النتائج لصالح المسرح على وجه العموم وليس فقط لفائدة العروض المسرحية أو الأعمال الدرامية على وجه الخصوص»(بشونياك، 1999، ص13)، بهذا فإنّ ثورة التجريب اندلعت مع الفنون أولاً من خلال إدخال عناصر جديدة في المسرح حيثاستخدمت "البانوراما" باعتبارها عنصرا "سينوغرافيا" وعثر على ما يطلق عليه حديثا "بالسفايت المعلقة "من حيث هي عنصر رئيسي،قد وسع من مدارك التجريب المسرحي و مجالاته(بشونياك، 1999، ص،ص13،14)، فكانت هذه الاضافات طرائق تجريبية أغنت المسرح ورفعة من شأنه.

توالت بعد ذلك عملية الخروج على المألوف وكان السّباق للتجديد و التّجريب في الرواية "اميل زولا"(émile Zola)(1840-1902)من خلال كتابه الرواية التجريبيّة 1979حيثاقترن مشروع زولا الرامي الى بلورة المذهب الطبيعي للوصول الى العلميّة في الأدب على غرار ما أنجزه علماء الطبيعة والطب،وكان يتقصد وراء ذلك التوصيف،أنْ تكون الرواية ثمرة تجربة منبنيةعلى تجميع الملاحظات والحقائق والمعطيات قبل صياغتها في نسق روائي يضفي عليها صدقية تضاهي صدقية الحقائق المتصلة بالتجارب العلميّة(برادة، 2011، ص 48)، فأكدّ زولاعلى أنّ الأدب له صلة بالإبداع العلمي، وجدد في الشكل الروائي وكان له الفضل في بلورة هذا المفهوم، فكل حقيقة إذا اقتربت من العلمية تكون أكثر صدقيّة.

بدأ مفهوم التّجريب في الاتساع في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين «ومع ظهور مفهوم مغاير للأدب...والاتجاه إلى بلورة نظرية أدبيّة تهتم بغائية الكتابة وعلائقها باللّغة و الواقع و المرجعية (على نحو ما فعل الشاعر مالارميه،والروائيون:فلوبير و بروست،جويس...) اكتسب مصطلح التجريب دلالات أخرى ربطته بالبحث عن أشكال جديدة تكسر المتوالية وتتمرد على القوالب الكلاسيكية»(برادة، 2011، ص48)،ومنه أصبح مصطلح التّجريب يحمل شعار التمرد والثورة،عن طريق بلورة نظرية جديدة للكتابة مستقلة عما كانت عليه،لينفتح المجال أمام التعبيرالحر واللّعب اللامتناهي بين دوال النّص واستحداث تقنيات جديدة في الإبداع الأدبي كتعدد الأصوات وتداخلها.

ثم بدأت بعد ذلك حركة التّجديد والتجريب في السّاحة العربية حيث استطاع الشّاعر العربيّ منذ أواخر القرن التاسع عشررسم معالم جديدة تكسر البنية النمطيّة للقصيدة القديمة «فكان أن اتكأت القصيدة على الأنماط والبنى السردية، واعتمدت في ذلك أنماطا تجريبية عدة تنوعت بين التّجريب في الشكل والتّجريب في المضمون،فكان منها:التجريب في مبدأ نفي الحدود الفاصلة بين الأنواع،والتجريب في اللّغة ...والتّجريب على مستوى التشكيل البصري للقصيدة ...وكان من اتجاهات التجريب على مستوى الموضوع:التجريب على مستوى استلهام التراث باعادة تأويله واكتشافه ثم بعثه من جديد في ايقاع جديد ولغة تواصل جديدة، والتجريب على مستوى الحكي والخبرة الجسدية،والتّجريب على مستوى الحكي عن الجسد و الخبرة الجسدية،والتّجريب على مستوى حكي خبرات الحياة الشخصية»(الضبع، 2014، ص137)، فاستطاع المبدع من خلال هذا أن يوظف كل امكاناته من أجل ابتكار وخلق أنواع جديدة متحررة من الشكل و المضمون اللّذان كانا حبيسان للقواعد،وهذا ما فتح المجال أمام تعدد الأصوات والمزج بين ما هو شعري وثري،فكانت قصيدة النثر أكثر مثالا على ذلك.

شهدت السّاحة العربيّة أيضا ثورة كبيرة على مستوى الرواية التقليدية،ما أدى الى ظهور الرواية الجديدة في الربع الأخير من القرن العشرين وهذا راجع لعوامل عديدة «ويمكن أن يشير المرء هنا اضافة إلى عامل المؤثرات الأجنبية؛وهو عامل مهم بكل تأكيد إلى الانفتاح على التراث القصصي القديم بعد المنعطفات الجادة والى هزيمة 1967 التي تمثل ولا تزال حجر الزاوية في كل ما جرى ويجري حتى هذه اللحظة »(الماضي، 2008، ص17)، فاتجهت الرواية نحو التخطي و التجاوز للأشكال الثابتة و البحث عن أشكال جديدة، واستحدثت آليات جديدة مرتكزة على أساليب تجريبية، حيث أصبح النص محكوما بوعي صاحبه، وشهدت تحولات في أساليب السرد ومستوياته وتسعى الرواية الجديدة إلى« التعبير عن العلاقات الاجتماعيّة القائمة،أو الاسهام في "خلق" علاقات جديدة فهي تصدر عن وعي جمالي يتخطى حدود الوعي السائد ويتجاوزه الى آفاق جديدة، لهذا فمهمة الرواية الحديثة لا تتمثل في الوعظ و الارشاد والتعليم،كما هو شأن الرواية التقليدية بل تتمثل في تجسيد رؤية فنية،أي تقسي فني للعالم والرؤية كشف جديد لعلاقات خفية، ومن خلال هذا الكشف تتولد المتعة أو التشويق أو الجاذبية »(الماضي، 2008، ص11)، ومنه شكّلت الروايّة العربيّة نقلة نوعيّة نضرا لتطور الوعي والاحتكاك بتجارب الروائيين الغربيين وكذا العوامل السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة.

تشكل التّجريب الروائي من خلال العديد من المستويات فكان على مستوى اللُّغة حيث انتقلت الرواية الجديدة من الفصحى إلى العامية،وانتقلت من مجرد لغة لتصوير الأحداث وعرض الحكاية الى لغة محتفية بذاتها،عبر التكثيف والايحاء وتعدد الدلالات وفتح آفاق التأويل،كذلك رسم الصور البلاغية المعتمدة على المجاز حيث لم تعدُّ اللُّغة الأدبيّة فقط هي لغة الرواية إضافة للُّغة نجد الرواية تعتمد على الوعي حيث تحتفي بهأكثر من احتفائها بمركزية الحدث وتنامي الأحداث، فلم تعد الأحداث في الرواية الجديدة هي التي تجذب المتلقي ليتقدم معها، وإنّما غدا الوعي هو المركز الذي تمد الرواية جسورها معه(الضبع، 2014، ص،ص،ص50،51،60)، إضافة الى اللُّغة والوعي نجد الموضوع في الرواية التجريبيّة يختلف عن الرواية التقليدية فقد« حدث تحول مركزي في الموضوع ذاته،فلم تع سيرة حياة الانسان هي الموضوع ،وإنما أصبح الوعي بالإنسانية و الانسان وتصوير ضعفه و انهزاماته هو الموضوع»(الضبع، 2014، ص72) إنّ التجريب إذن فتح مجالا واسعا للتغير سواء على هذه المستويات أو غيرها،وكان ثورة حقيقية ضد القوالب الجاهزة.

من خلال ما سبق يتبين أنّ التجريب مصطلح ارتبط بالغرب في البداية وكان في مجال الفن كالمسرح و الرسم،والنحت،ثم انتقل الى مجال الأدب سواء الشّعر أو النثر واعتبر رؤيّة فنيّة ابداعية انتقلت بالأدب إلى أبعد الآفاق من خلال ابتداع طرائق و أشكال وأساليب فنيّة جديدة؛حيث أصبح النّص عبارة على مجموع من الدوال،يمارس فيه المبدع اللّعب الحر واللامتناهي، وهذا ما يجلب القارئ إلى الولوج لأغوار النّص و محاولة كشف خباياه، ما يولّد عنصر المتعة الفنيّة وما يعطيه للنّص من حيوية و خلود.

3- لماذا التّجريب:

يتبادر إلى ذهن الباحثين العديد من الأسئلة حول مصطلح التّجريب أهمها ما هي المسوغات التي دفعت المبدعين إلى التّجريب؟

هناك العديد من العوامل التي ساهمت في تبني فكرة التّجريب في الابداع الأدبي لعل أهمها:

1-«اتساع المنظومة المعرفية وتعدد أنواعها واتجاهاتها فضلا عن التغيرات الحاصلة في الواقع ومآلات الجِدّة والابتكار التي طرأت على الأنظمة الحياتيّة والاجتماعية والإنسانيّة،كذلك مواكبة التطورات الحاصلة في المجال الأدبي الشعري والسردي »(كاظم، 2016، ص،ص34،35)ولهذا كان من الضروري هدم كل ما هو قديم والدخول في مرحلة بناء جديدة تواكب هذه التغيرات .

2-عامل التراث والمؤثرات الأجنبية من ناحية ثانية(الماضي، 2008، ص10) فإنّ الاحتكاك بثقافة الغرب السحريّ كان من أهم العوامل الواضحة التي ساهمت في تغيير البنية الفكريّة لدى العرب وتغيير نظرتهم في الحياة.

3-الانتقال من مرحلة البساطة والتقليد إلى مرحلة النضجحيث أصبح الابداع يرتبط بدرجة كبيرة بالوعي والنضج الفني والواقع المعيش هو الذي يفرض التغيير في اسلوب الحياة وبالتالي أسلوب التفكير(الماضي، 2008، ص10).

4-«سعت القصيدة العربيّة المعاصرة إلى البحث عن بنى و تقنيات تعبيرية تخرج بها من عالم رأته محدودا إلى عالم أكثر رحابة»(الضبع، 2014، ص137)؛ لأنّ القوالب القديمة تبقى ثابتة، أمّا الإتيان بما هو جديد يجعل التفكير دائما منفتحا وقابلا للتجديد في كل مرة.

نستشف من هذه النقاط أنّ الحياة دائما في تطور،وهذا التطورلا يعني نفي القديم و إنما احيائه بأساليب و رؤى جديدة،فكلما تغيرت طبيعة المعيشة تطور التفكير وأصبح الإنسان أكثر وعيا خاصة في عصر التقنيّة، حيث أصبح كل شيء يرتبط بالعلم، ما أدى الى ضرورة مواكبة الحياة الجديدة وخوض تجارب لا متناهية بكل حريّة.

4-التجريب/ التجديد/الحداثة:

إنّ مصطلح التّجريب يلتصق مع مصطلحي التجديد و الحداثة كون الثنائيات التالية (تجريب/تجديد)،(تجريب /حداثة)هما وجهان لعملة واحدة حيث «يبقى التّجريب مهموما بالبحث عن المجهول،وفي الفن دائما هناك مجهول،والتجريب يدعو للتجديد، والتجديد هاجس مستمر للمجربين وهو إدامة الحياة،فضلا عن وجود التجديد في كل عمل روائي،إذ في كل عمل روائي ينبغي أن يطلع علينا بجديده،أي أننا دوما بإزاء (رواية جديدة)تتبلور عبر تجريب موسوم بالحركة»(كاظم، 2016، ص34)، فإذا كان مبتغى المبدع الاتيان بالجديد فذلك يكون من خلال التّجريب وخلق آليات جديدة و مبتكرة فإنّ «الجمود في قوالب ثابتة بالنسبة للفن كرى وسبات بينما التجريب والبحث الدائم عن الجديد صحو و حيوية »(حافظ، 1984، ص7) التّجريب إذن قرين الإبداع و الأشكال الجديدة.

لكن الجدّة لا تعني دائما ما هو جديد قد يأتي الجديد في القديم عكس الحداثة ويوضح لذلك عبد المجيد زراقط «أما الجدة فلا ترتبط بالزمن،إذ قد يكون الجديد في القديم،كما يكون في الحديث،أمّا الحداثة فتعني لغويا إيجاد ما لم يكن موجود من قبل ويظل هذا حديثا ما بقي فنيّاً غير مألوف أي ما بقي في منأى عن فعل العادة»(زراقط، 1991، ص15)فالحداثة هي التحول الجذري والخروج عن المألوف شعارها تخطي وتجاوز كل النماذج القديمة؛ وارتبط هذا المصطلح (Modernitè)بمفهومه الجديد بالشّاعر الفرنسي بودلير (Charles Baudelaire)حيث «الحداثة بمفهومها البودليريلا تقلد نموذجا سابقا عليها،ولا تحاكي واقعا راهنا متقدما،وإنّما تصدر عن هذا الأخير

لتفضحه و تحرقه باللّغةالتي هي أداة بها يخلق عالم من الجمال المتعالي عن ملابسات العصر»(الخبو، 1995، ص20،21)، فالفن الحديث حسب بودلير يسعى دائما لإبداع ما هو جديد منافيا للقديم .

ونجد عبد السلام المسدي في الثقافة العربيّة يوضح مفهوم الحداثة بقوله: «تتحدد بمدى قدرة الأديب على ابتكار أسلوبه الأداتي مما لا يتقيد بأنماط سائدة ولا معايير مطردة»(المسدي، 1983، ص15)؛ نرى أنّ هذا المفهوم أقرب للصواب فإذا ربطنا التجريب بالحداثة فإنها تتبنى فكرة التجاوز والتخطي والتجريب هو تجسيد لها حيث «كان التجريب ومغامرة البحث و حرية الفكر و الابداع ووضع كل شيء موضع السؤال،الوجه الآخر من الحداثة»(عصفور، 1995، ص5)، فالتّجريب يُعدُّ من مطالب الحداثة.

نستطيع القول أنّ الحداثة مما سبق تقوم على مبدأ الرفض و التمرد؛إنها تفتح السبل أمام المبدعين لإبداع طرائق تجريبية جديدة، نضرا لمايقتضيه الوعي و التجربة الذاتيّة.

5- التجريب/التغريب :

ارتبط مصطلح التّجريب كذلك بالتغريب، ولتبيان هذه العلاقة لابدّ أولاً تحديد مفهوم لغوي لهذا المصطلح حيث ورد في معجم اللّغة العربيّة المعاصرة مادة غرب« غرب الكلام/غرب الأمر: غَمُضَ و خَفِيَ...غَرُبَ الشيء كان غير مألوف و مأنوس»(عمر، 2008، ص1601)؛ أي أنّ هذا المصطلح يتعلق بكل ما هو متخفي وغير مألوف.

وضح تودورف(Tzvetan Todorov)في كتابه نقد النقد مصطلح التغريب بقوله: «يكمن مفهوم التبعيد في تحويل الشيء الذي يراد افهامه،الذي يراد لفت الانتباه إليه،من شيء عادي معروف،معطى مباشرة إلى شيء خاص، غير مألوف غير متوقع »(تودوروف، 1996، ص46)؛ أي الخروج من الأشياء العادية و المباشرة إلى ما هو غريب وغير متداول.

وحدد شكلوفسكي (Victor Chklovski) أيضا هذا المفهوم وربطه بالفن حيث يقول: «أسلوب الفن هو أسلوب الاغتراب للوصول إلى الأهداف، وإنّ أسلوب الشكل يخلق صعوبة، فالأسلوب يزيد الصعوبة و يطيل الإدراك، لإجراءات الإدراك كهدف بذاته و يجب تطويله»(هول، 1992، ص32)، فاعتبر التغريب أسلوب من أساليب الفن،وكلما توفر أسلوب التغريب في النّص تكون عملية الإدراك صعبة و طويلة ما يؤدي إلى لفت انتباه القارئ.

من خلال المعطيات السابقة نرى أنّ التغريب يهدف إلى كسر الرتابة ويسعى الى لفت انتباه القارئ واستخدام عنصر الادراك الواعي لفهم النصوص،فهذا يعتبر من الآليات التجريبية المستحدثة التي تسعى إلى التأثير في المتلقي،مايكسب النّص قيمة جماليّة فنيّة،وهنا يلتقي التّجريب مع التغريب ويصبح هذا الأخير ظاهرة تجريبية.

6- التّجريب وتداخل الأنواع الأدبية:

مع موجة الحداثة وتبني مقولة اللاقاعدة هي القاعدة الذهبيّة اتجه النّص نحو التّجريب في كل شيء وكانت نظرية خرق النوع الأدبي هي من أهم التجارب و أبرزها حيث «الشّعر لم يعد قائما على الزخرفة الشكليّة،عالم لم تعد أهم محدداته:الوزن والقافية،ولم يعد قاصرا على مفردات بعينها دون أخرى،أو أنّ هناك قاموسا شعريا وآخر نثريا ،ولكن تتحقق شعريته بالتركيب والمجاورة،أي من خلال ممارسة المبدع التي تفضي إلى منتوج دلالي عبر اللّعب باللّغة

»(هلال، 2012، ص19)، فخرج النّص الأدبي من دائرة النقاء إلى التداخل و التزاوج بين ما هو شعري و نثري والنص بذلك يصبح أكثر جمالية وفنية .

تعتبر مقولة تداخل الأجناس الأدبيّة ممارسة تجريبية كونها انتقلت بالنص الأدبي من الكتابة النمطية والنقاء إلى مبدأ امكانية التعدد و الاختلاف.

خاتمة

بعد عرضنا لمفهوم التّجريب ودلالته يمكن استخلاص النتائج التالية:

1-تعود أصول مصطلح التجريب إلى الكلمة الاتينيةExperimentum وتعني البروفة أو المحاولة.

2-مصطلح التجريب ارتبط بداية بالعلوم التجريبية،ثم انتقل إلى مجال الفن والأدب،وذلك ليكون النّص أكثر صدقيّة مما كان عليه.

3-يعتبر اميل زولا السباق للحركة التجريبية في الرواية،حيث حاول الوصول إلى العلميّة،باعتباره الرواية تجربة منبنية على تجميع الحقائق.

4-اكتسب التّجريب دلالات أخرى بعد ذلك،حيث أصبح غايته البحث عن أشكال جديدة تتمرد على القوالب القديمة،وبناء نظرية للكتابة مستقلة عما كانت عليه.

5-إن التجريب مغامرة إبداعية، فتحت المجال أمام المبدعين للتعبير عن تجاربهم الشخصية بكل حرية، وهذا ما يرفع من قيمة الإبداع الفني ،بعدما كان رهينا للنمطية.

6-انتقل مصطلح التجريب إلى الساحة العربية ،حيث استطاع المبدع كسر المتوالية القديمة،وبناء معالم جديدة للنص الأدبي سواء على مستوى الشكل أو المضمون.

7-يكون التجريب في النّص الإبداعي على عدة مستويات من بينها ؛اللّغة، الموسيقى ،الموضوع، الشكل وغيرهم
8-يتداخل مصطلح التجريب مع الحداثة كون هذه الأخيرة تقوم على مبدأ الرفض والتجاوز،وتسعى لإبداع أشكال و مضامين جديدة وهذا ما يجعل التجريب يمثل تجسيدا للحداثة.

9-إرتبط مصطلح التجريب كذلك بالتغريب من خلال الخروج عن المألوف،وإعادة الاهتمام للقارئ في كشف خبايا النص عن طريق الإدراك و الوعي، وهذ ما يجعل التغريب ظاهرة تجريبية.

10-مع موجة الحداثة أصبح النّص الأدبي عبارة عن سجل تتداخل فيه جميع الأنواع و الأشكال،فانتقل من نقاء النوع إلى تداخل الأنواع،وهذا يعتبر نقلة تجريبية حداثية .

11-هناك العديد من المسوغات التي دفعت الى ضرورة تبني الرؤية التجريبية ؛من بينها اتساع المنظومة المعرفية، كذلك التغيرات التي شهدها العالم في الأنظمة الحياتية على مستوى جميع المجالات،الانتقال من مرحلة البساطة إلى مرحلة النضج الفني و الخروج من عالم محدود إلى عالم أكثر انفتاح.

وفي الأخير نخلص إلى أنّ مصطلح الّتجريب يعد إضافة جديدة من خلال عناصره الجماليّة الجديدة سواء على المستوى الشكلي أو المضمونيّ، إذْ يعدُّ تقنيّة فنيّة فتحت النص على آفاق تعدد الرؤى و القراءات.

المراجع:

أحمد سخسوخ، (1989). *التجريب المسرحي*، مصر: هيئة الأثار المصرية.

أحمد محتار عمر، (2008). معجم *اللغة العربية المعاصرة* ط 4. القاهرة: عالم الكتب.

باربارا لاسوستكا بشونياك، (1999). *المسرح و التجريب ما بين النظرية والتطبق*. (تر: هناء عبد الفتاح). القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

تزفيتان تودوروف، (1996). *نقد النقد*، ط 2. (تر:سامي سويدان) بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

جابر عصفور، (1995). مفتتح. *مجلة فصول،مج 13*(4)، ص5.

جمال الدين محمود بن مكرم ابن منظور، (1997). *لسان العرب*، بيروت: دار صادر.

روبرت سي هول، (1992). *نظرية الاستقبال مقدمة نقدية*، اللاذقية: دار الحوار.

سعيد حميد كاظم، (2016). *التجريب في الرواية العراقية النسوية بعد عام2003*، ط1. بغداد: دار الكتب والوثائق.

شكري عزيز الماضي، (2008). *أنماط الرواية العربية الجديدة*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون.

صبري حافظ، (1984). *التجريب و المسرح و مشاهدات في المسرح الإنجليزي المعاصر*. مصر: الهيئة المصرية للكتاب.

صلاح فضل. (2005). *لذة التجريب الروائي*، ط 1. القاهرة: أطلس للنشر.

عبد السلام المسدي، (1983). *النقد والحداثة*، ط 1. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

عبد المجيد زراقط، (1991). *الحداثة في النقد العربي المعاصر*. لبنان: دار الفكر الفكر العربي.

عبد الناصر هلال. (2012). *تداخل الأنواع الأدبية*، 1ط. جدة: النادي الأدبي الثقافي.

مجمع اللغة مجمع اللغةالعربية، (2004). *المعجم الوسيط*. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

محمد الخبو، (1995). *مدخل إلى الشعر العربي الحديث "أنشودة المطر"لبدر شاكر السياب أنموذجا*. تونس: دار الجنوب للنشر.

محمد برادة، (2011). *الرواية العربية ورهان التجديد*، ط1. دبي: دار الصدى.

محمود الضبع، (2014). *غواية التجريب خركة الشعرية العربية في مطلع الألفية الثالثة*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة.

هدى وصفى، (1990). التجريب في المسرح المصري. *مجلة فصول، مج 14*(1)، ص212.

oxford wordpower, o. (2006). *oxford.* university press.